

شرح العقيدة الطحاوية

قوله : (والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن) .

ش : قال تعالى : { ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون } الآية الولي : من الولاية بفتح الواو التي هي ضد العداوة وقد قرأ حمزة : { ما لكم من ولايتهم من شيء } بكسر الواو والباقون بفتحها وقيل : هما لغتان وقيل : بالفتح النصرة وبالكسر الإمارة قال الزجاج : وجاز الكسر لأن في تولي [بعض] القوم بعضا جنسا من الصناعة والعمل وكل ما كان كذلك مكسور مثل : الخياطة ونحوها فالمؤمنون أولياء الله تعالى وليهم قال الله تعالى : { الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات } الآية وقال تعالى : { ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم } { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض } الآية وقال تعالى : { إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض } إلى آخر السورة وقال تعالى : { إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون } فهذه النصوص [كلها] ثبت فيها موالة المؤمنين بعضهم لبعض وأنهم أولياء الله وأن الله وليهم ومولاهم فإلى يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه ويرضى عنهم ويرضون عنه ومن عادى له وليا فقد بارزه بالمحاربة وهذه الولاية من رحمته وإحسانه ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه قال تعالى : { وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن ولا كبره تكبرا } فإلى تعالى ليس له ولي من الدن بل العزة جميعا خلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذلك وحاجته إلى ولي ينصره .

والولاية أيضا نظير الإيمان فيكون مراد الشيخ : أن أهلها في أصلها سواء وتكون كاملة وناقصة : فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين كما قال تعالى : { ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة } ف { الذين آمنوا وكانوا يتقون } - منصوب على أنه صفة أولياء الله أو بدل منه أو بإضمار أمدح أو مرفوع بإضمار هم أو خبر ثان لـ إن وأجيز فيه الجر بدلا من ضمير عليهم وعلى هذه الوجوه كلها فالولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون وهم أهل الوعد المذكور في الآيات الثلاث وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه ليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تملق ولا رياضة وقيل : الذين آمنوا مبتدأ والخبر : لهم البشري وهو بعيد

لقطع الجملة عما قبلها وانتشار نظم الآية .

ويجتمع في المؤمن ولاية من وجه وعداوة من وجه كما قد يكون فيه كفر وإيمان وشرك وتوحيد وتقوى وفجور ونفاق وإيمان وإن كان في هذا الأصل نزاع لفظي بين أهل السنة ونزاع معنوي بينهم وبين أهل البدع كما تقدم في الإيمان ولكن موافقة الشارع في اللفظ والمعنى - أولى من موافقته في المعنى وحده قال تعالى : { وما يؤمن أكثرهم با } إلا وهم مشركون { وقال تعالى : { قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا } الآية وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين [وقال A : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر] وفي رواية [وإذا ائتمن خان] بدل : [وإذا وعد أخلف] أخرجاه في الصحيحين وحديث : شعب الإيمان تقدم [وقوله A : يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان] فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار وإن كان معه كثير من النفاق فهو يعذب في النار على قدر [ما معه] من ذلك ثم يخرج من النار فالطاعات من شعب الإيمان والمعاصي من شعب الكفر وإن كان رأس شعب الكفر الجحود ورأس شعب الإيمان التصديق وأما ما يروى مرفوعا إلى النبي A [أنه قال : ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي } لا هم يدرون به ولا هو يدري بنفسه] - : فلا أصل له وهو كلام باطل فإن الجماعة قد يكونون كفارا وقد يكونون فساقا يموتون على الفسق وأما أولياء ا الكاملون فهم الموصوفون في قوله تعالى : { ألا إن أولياء ا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة } الآية والتقوى هي المذكورة في قوله تعالى : { ولكن البر من آمن با } واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین { الى قوله : { أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون } وهم قسمان : مقتصدون ومقربون فالمقتصدون : الذين يتقربون إلى ا بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح والسابقون : الذين يتقربون إلى ا بالنوافل بعد الفرائض كما في صحيح البخاري [عن أبي هريرة B قال : قال رسول ا A : يقول ا تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما أفترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته] والولي : خلاف العدو وهو مشتق من الولاء وهو الدنو والتقرب فولي ا : هو من والى ا بموافقته محبوباته والتقرب إليه بمرضاته وهؤلاء كما قال ا تعالى فيهم : { ومن يتق ا يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب } قال أبو ذر B : لما نزلت الآية [قال النبي A : يا أبا ذر لو عمل الناس بهذه الآية لكفتهم]

فالمتمقون يجعل اا لهم مخرجاً مما ضاق على الناس ويرزقهم من حيث لا يحتسبون فيدفع اا عنهم
المضار ويجلب لهم المنافع ويعطيهم اا أشياء يطول شرحها من المكاشفات والتأثيرات